أســـــاطـــير في اصل الـــنـــــار

احمـد زكي الانباري

وقف الانسان البدائي امام الكثير من الظواهر الطبيعية مندهشاً ومن ثم خائفاً حائراً، لأنه يجهل تفسيرها أو تعليلها وطريقة حصولها، مما اضطره امام هذا الكم الهائل من الظواهر التي فرضت عليه الطبيعة التعامل معها والتعايش وإياها، فكان لزاماً عليه أن يبحث عن اسرار حدوثها، ولما أعيته الحيل لعدم توفره على وسائل التفكير المنطقية اللازمة للتفسير والتأويل مما دفعه نحو الميثولوجيا متخذاً منها فلسفة حاول من خلالها الاجابة عن الاسئلة التي تولدها الظواهر الطبيعية التي تستدعي تفسيراً أو تبريراً، فاتجه إلى نسج القصص التي عرفت فيما بعد بـ (الاساطير) التي نالت الاعتراف بانها وثائق عن التفكير الانساني وهو لا يزال في المرحلة الجنينية، ونحن اليوم عندما نتتبعها أو نؤلفها وننقلها من شفاهيتها إلى التدوين، لا نفعل ذلك اشباعاً لرغبة في نفوسنا أو للتسلية، بل إننا نقوم بذلك معتقدين بان تلك الاساطير التي تغلبت على الزمن ووصلت الينا هي الباب الذي أنبعث منه الضوء لينير لنا طريق التطور الفكري / الثقافي - باعتبار الثقافة تغييراً في السلوك - الذي سار عليه جنسنا البشري.

ومن اهم الشخصيات التي نذرت نفسها لمعرفة الجذور الميثولوجية لنشوء الاساطير وسعت إلى اكتشافها ودراستها مما ساعد على القاء الضوء على الاصول الفكرية للاسطورة عند الانسان البدائي في مناطق مختلفة من العالم، هو عالم الفلكلور وصاحب اهم المؤلفات التي توفرت على دراسة هذا الجانب عند مختلف الشعوب والقبائل صاحب الغصن الذهبي جيمس فريزر الذي حاول ان يجيب على الاسئلة التي شغلته عن اصل النار وما نسج حولها من اساطير حاولت ان تفسر كيفية حصول الانسان عليها، لذلك بادر إلى العمل على جمعها وتبويبها وفقاً لمناطق نشوئها جغرافياً من شعوب وقبائل مختلفة، وذلك في كتابه الصادر عن دار علاء الدين - دمشق - ١٩٩٩ ترجمة يوسف شلب الشام والموسوم بـ (أساطير في أصل النار) بـ ٢٥٦ صفحة. متتبعاً أساطير حول النار، ومن هو اول من اكتشفها وجلبها للبشر ومكنهم من طهو طعامهم بعد ان كانوا يأكلونه نيئاً؟ لذلك عمد إلى ان يضم بين دفتي كتابه هذا الاساطير التي كان يرددها اهل تاسمانيا وفي استراليا وفي جزر مضيق توري وفي غينيا الجديدة وفي ميلانيزيا وبولينيزيا وميكير ونيزيا وأندونسيا وآسيا وفي مدغشقر وأفريقيا وفي امريكا الجنوبية وامريكا الوسطى والمكسيك وامريكا الشمالية واوربا واليونان القديمة والهند القديمة، غير ان الملاحظ ان جيمس فريزر لم يتطرق إلى اساطير ايران في اصل النار بالرغم من ان النار اصبحت في مرحلة ظهور الاديان من اهم ما قدسه الايرانيون وعبدوها كآلهة فليس من المعقول ان لا تكون للايرانيين البدائيين حكايات واعتقادات عن اصل النار، وكيفية وصولها إليهم ومن ثم طريقة استخدامها لأول مرة، كما انه لم يتطرق إلى اساطير المنطقة العربية اليمن والجزيرة ووادي الرافدين، فلم يحدثنا عن اساطيرهم في كيفية حصولهم على النار لأول مرة.

وبعد ان استعرض ما تجمع لديه من اساطير حول اصل النار في مناطق مختلفة جغرافياً وانثربولوجياً وان اجتمعت في شيء فهو بدائيتها فكراً وسلوكاً، خرج بنتيجة مهمة ومدهشة في ذات الوقت اذ اكتشف ان تلك الاساطير تشترك جميعها - رغم اختلاف الناقلين لها مناطقياً - بوحدة الاصل وذلك ما يوحي بوجود فكر مشترك في صياغتها، يصل في بعض الاحيان حد التطابق حتى بابسط الجزئيات والتفاصيل، رغم بعد المسافات، وان كان ثمة خلاف فيما بينها فهذا الخلاف لا يتمثل في البنية السردية للاسطورة، وانما يدور حول اسماء الشخوص التي لعبت دوراً في الحصول على النار. ففي حديث فريزر عن اساطير اصل النار لدى القبائل الساكنة في ساموا وقبائل الوطنيين في (فالكاونر) أو (يوديتش) وهي جزيرة تقع إلى الشمال من (ساموا) يجدان القصتين تتفقان فيما هو اساسي منهما حتى اسماء الاشخاص مثال (بالانفا) و (مانويك) التي تتطابق مع اسماء (سامو) التي هي (تالانغا) و(مافوي) وان كان (مافوي) إلهاً في الاسطورة السامواية بينما (مافويك) اعتبرت آلهة في الاسطورة الثانية.

كما انه وجد ان معظم اساطير اصل النار أو غالبيتها في الاقل تشترك في الاعتقاد بان مصدر النار ومكانها الاول الذي جلبت منه هو العالم السفلي.

ولقد لعبت الحيوانات (الكلب - الديك - الفأر - الارنب) والطيور (الببغاء والصعوة والبلشون (مالك الحزين) والحمامة والصقر والبوم) دوراً رئيساً في اساطير النار لانها هي التي تمكنت من جلب النار إلى بني البشر، واطلعتهم على أسرارها وكيفية الافادة منها. ويعلل فريزر الدور الرئيسي الذي لعبته الحيوانات في اساطير اصل النار وكذلك الطيور التي حرمت من النار التي جلبتها للانسان اذ يعود إلى محاولة الانسان البدائي تعليل وتفسير بعض ما امتازت الحيوانات أو الطيور من الوان أو علامات فارقة، اذ عزاها الانسان البدائي إلى تأثير النار على الحيوان أو الطير اثناء نقلها عند الحصول عليها، لذلك فأساطير النار ترتبط بعالم الحيوان اكثر من ارتباطها بعالم الطبيعة.

وفي خلاصة ما توصل إليه جيمس فريزر في كتابه هذا ان البشرية مرت بثلاثة ادوار، اولها جهل الناس باستعمال النار، ويجهلون كذلك وجودها وبالتالي توصلوا إلى معرفة النار واستعملوها للتدفئة وطهو الطعام، ولكنهم كانوا لا يزالون يجهلون طريقة ايقادها وفي الدور الثالث اكتشفوا أو استعملوا النار بشكل منتظم بطريقة أو عدة طرق لاشعالها وهذا ما قاده إلى الاستنتاج ان هذه الادوار مثلت عصوراً ثلاثة تمثل ثلاث مراحل ثقافية، اطلق عليها (العصر الخالي من النار، وعصر النار المستعملة وعصر النار الموقدة بغض النظر عن الوسيلة التي وصلوا فيها إلى هذه النتائج).

من المحـــرر

أفكار فولكلورية بعد أسبوع المـدى

باسم عبد الحميد حمودي

يتخذ رجال الثقافة الشعبية وكتاب موضوعات (التراث الشعبي) من الندوات والمؤتمرات التي تعقد هنا وهناك مجالاً لابداء الرأي والنقاش وتبادل الخبرات، ذلك ان موضوعات الثقافة الشعبية وما يتصل بها من تفاصيل لا تحتاج إلى قراءات منفردة وإلى فحص لنصوص مدونة فقط بل معرفة دقيقة بالحياة الاجتماعية والفكرية لهذه المرحلة أو تلك مع شغف شخصي بالموضوعات التي تكون عند الباحث مداراً للبحث وللكشف.

ان عملية تبادل الخبرة عبر اللقاءات المباشرة بين المعنيين بالثقافة الشعبية مسألة ضرورية ان تيسرت وسائلها وقد كان لاسبوع (المدى الثقافي) الفضل في لقاء عدد من الباحثين المعنيين بالثقافة الشعبية على مدى عشرة ايام بين اربيل والسليمانية حيث تعززت داخل هذه اللقاءات معرفة جزء من خبرة الاخر والاتفاق على دراسات جديدة في احتكاك مباشر بالمثقفين الفولكلوريين الكورد وبالمثقفين العراقيين المعنيين بالثقافة الشعبية الذين زاروا كردستان العراق بدعوة من (المدى).

ان ما نطمح اليه - بعد هذا الاسبوع - ان تؤسس جمعية فولكلورية عراقية خاصة بالباحثين لا ترتبط رسمياً الا باهلها شرط ان تضمن مساعدة الجهات الرسمية في الحصول على مبنى وعلى مستلزمات ادارية بسيطة تمكنها من العمل المشترك بين الباحثين بكل حرية وتجرد فهل ذلك كثير على هؤلاء الرجال وقد ملأت الجمعيات الوهمية الساحة دون جدوى؟

وجـــــوه

الشاعر كاظم السلامي

زيـــاد مـــعـــود

قال الشاعر كاظم السلامي الكربلائي في الموال:

يا صاح ليش اليودك ما تود انت له

ابحبك تصوب دليلي واسمعت وانت له

ولهواك باريت ياهايفي البخت وانت له

ابحسنك ترقيت حتى ما كَمت سلمت

والصوج مني يمن امري الك سلمت

ظنيت توفي ولغيرك ياعاصي سلمت

وبكتاب عذرك تبين وانكشف وانت له

والشاعر كاظم السلامي احد شعراء كربلاء البارزين ولد فيها عام ١٩٠٤ ونشأ فيها وترعرع في محيطها وقال الشعر في سن مبكرة وله عشرات القصائد والموالات والابوذيات وقد كتب الشعر في كافة الاوزان المعروفة كالميمر والمربع والشيعتي والدارمي والمذيل.

قام بجمع ديوان الشاعر كاظم السلامي الاول واشرف على طباعته بجزءين الشاعر احمد صالح الطعان لان السلامي الشاعر المرهف توفي في الثمانينيات من القرن الماضي من دون ان يعرف القراءة والكتابة.

ديوانه الاول صدر في السبعينيات بعنوان السلاميات الحسينية، وديوانه الثاني ما زال مخطوطاً بعنوان الرياض الشعبية من ابرز جماليات شعر السلامي اهتمامه بالشعر العربي رغم عدم معرفته القراءة والكتابة فقد كتب مجارياً قول الشاعر العربي.

اذا كان رب البيت بالدف ناقراً

فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

قال:

طريح بشوك محبوبي ولاعه

وكلبي ابنار هجرانه ولاعه

رب البيت اذا بالدف ولاعة

اهل الدار تركَص كل سويه

ومن جميل قول كاظم السلامي قوله في الحبيب وعذابه

احلف ما اخاوي واعلن التوبه

وأرد ارجع وكَولن فرد هالنوبه

ربعت الارض شرق وغرب مامش

ادور عالو في الحط بالكلب هامش

ساف الجفن مني من كثر مامش

بديه ودمعتي عالوجن مسحوبه

رحم الله كاظم السلامي الشاعر المعطاء.

خـــانـــات بغـــداد

(٢-٣)

رفعت مرهون الصفار

تصوير:نهاد العزاوي

خان جعفر جلبي ابو التمن:
يقع في منتصف الزقاق الذي يربط قابجلير كهية سي (الجركيسي) ونهايته المؤدية إلى خان السيد محمد رحمة الله والتي تفضي إلى سوق الصفافير، ويقابله من الجهة الثانية، خان السيد مكي بهية.

خان جغان (جغال):
خان قديم وكبير رحب الساحة شيده سنان باشا جغالة زادة وإلي بغداد من ٩٩٥ - ٩٩٨ هـ / ١٥٨٦ - ١٥٨٧م، ومن ٩٩٩ - ١٠٠١هـ / ١٥٩٠ - ١٥٩٣م، وذلك في مفتتح ولايته الثانية سنة ٩٩٩هـ، وقد عرف هذا الخان باسم خان جغال، وخان جغان بتحريف بسيط، وعرف ايضاً باسم خان الصاغة بسبب اشغال اهل هذه المهنة معظم دكاكينه، وكانوا قد انتقلوا اليه بعد ان زاحمهم الخفافون (صناع الخفاف، وهي ضرب من الاحذية) في سوقهم الاول المجاور لجامع الصياغ (جامع الخفافين فيما بعد، ومسجد الحظائر سابقا).

امتلك هذا الخان مناحيم دانيال وشركاؤه فنقضوه سنة ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩م وشيدوا مكانه سوقين جديدين تطل نوافذهما من جهة على سوق الهرج القديم (العبايجية) ومن جهة ثانية على سوق الجبن، ومن جهة اخرى على سوق الجوخجية، وجعلوا لهما اربعة ابواب متناظرة بعد ان كان للخان القديم بابان فقط. وقد شغل البزازون واضرابهم هذا السوق في حين انتقل الصياغ إلى سوق السراجين الذي يقع في سوق السراي، ولم يبق من آثار خان جغالة المذكور سوى لوح من القاشاني الأزرق الفاخر كتب عليه بخط الخطاط البغدادي عبد الباقي المولوي المعروف بقوسي، تاريخ عمارته، ونصها: (عمر هذا الخان وما فيه من البنيان في ايام السلطان بن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه، وأفاض على جميع العالمين عدله وإحسانه. ٩٩٩). وكان مثبتاً على بابه، ثم نقل بعد نقضه إلى المتحف العراقي، وبقي من هذا الخان قسم صغير شغله بعض الصاغة على وضعه القديم، وقد افتتح فيه اول مقهى عام ١٥٩٠م في عهد الوالي سنان باشا جغالة زادة، باسم مقهى جغالة.

خان جني مراد:
كان يقع في مدخل سوق الشورجة، في سوق العطارين، شيده مراد أغا الحاج علي الروزنامجي سنة ١٠٩٨هـ ويشتمل على طابقين، وفيه من العمارة، في الطابق الأسفل عشرون حجرة وفي الطابق الأعلى ثلاث وعشرون حجرة، ويقال ان يهودياً كان يعمل في الخان المذكور قد اشعل النار فيه لغرض في نفسه، فادى الحريق إلى سقوط جانب منه، فانكشف على الفور رواق قديم يضم صفاً من الحجرات عقدت على نمط بديع من البناء، مما حمل الناس على الدهشة والتساؤل، أهذا من عمل الجن؟! فسمي الخان منذ ذلك الحين بخان جني مراد. والظاهر ان هذا الرواق لم يكن الا جانباً من سوق الريحانيين، القديم ثم اقيمت على أرضه عمارة البهبهاني المعروفة. ومن الغريب ان خان جني مراد قد احترق مرتين بعد ذلك، في عام ١٩٣٨، وفي أواسط الاربعينيات، وكذلك فان عمارة البهبهاني نفسها قد احترقت سنة ٢٠٠٥م.

خان جوقور خان:
(الخان العميق) في محلة الشيخ نجم الدين.

خان جون:
في سوق الجوخجية:

خان السيد حسين علوان حسين الحداد:
عمارة أو تيل الهلال سابقاً والذي اتخذته دائرة انحصار التبغ، وقد اصبح خاناً متصدع الجدران، استأجره السيد حسين علوان حسين الحداد من أمانة بغداد وجعله مأوى للعمال العرب.

خان حسن بك:
في محلة الميدان.

خان الحاج حمود شعبان:
كان الحاج حمود شعبان من تجار الاقمشة المشهورية في مدينة النجف الاشرف وانتقل إلى بغداد وأنشأ الخان الذي يقع خلف خان قابجلير كهية سي (الجركيسي)، وهو مختص بخزن وبيع الاقمشة المختلفة.

خان الحياج:
في محلة البوشبل

خان خزام:
في سوق العطاطير.

خان الخضيري:
واقع في شرقي المحكمة الشرعية في شارع المستنصر، وكان قبلاً دار الحرم والديوانخانة تعود إلى السيد أنور بك بن درويش بك الحيدري، عمره الحاج ياسين جلبي الخضيري سنة ١٣٤١هـ وهو يشتمل على طابقين متين البناء.
خان في محلة خواجة سلمان:

خان الخفاف:
خان صغير كانت تملكه والدة ناجي جواد الساعاتي ثم استملك ليضاف إلى بناية البنك المركزي العراقي.

خان الخفافين:
قرب المدرسة المستنصرية، لخزن جميع البضائع التي تجلب من البصرة واستعمله صانعو اليمنيات والخفافين، ولعله هو خان الباجه جي مار الذكر.

خان داود باشا:
في سوق الهرج.

خان الدجاج:
خان قديم في سوق العطارين، شبت النار فيه يوم الجمعة ١٢ آب ١٩١٢ بساعتين بعد الظهر في حجرة الملا حسين صاحب خان الدجاج، فاحترق الخان، ثم شيدت على أطلاله بناية متينة ودكاكين جعلت خاناً للتجار، وكان ملتزمه الحاج مصطفى العطار ثم اشترته امرأة يهودية في الاربعينيات ولما سافرت انتقل الملك إلى الطائفة الموسوية.

خان دلة الكبير:
يقع في سوق البزازين تجاه سوق الصيارفة له باب آخر على سوق الجايف أتخذ مركزاً للشرطة منذ العهد العثماني وبقي مركزاً للشرطة في عهد الاحتلال البريطاني، - وقد اعتقل فيه المتظاهرون امام جامع الحيدر خانة عند اندلاع ثورة العشرين -، ثم عاد إلى سابق وضعه بعد قيام الحكم الوطني. كان اصله خاناً للتجار يسمى خان الحرير وكان يعود إلى آل القصابجي وآل الكهية مناصفة، بناه امين افندي الكهية مفتي بغداد ثم اشتراه عرصة الحاج عبد القادر اسماعيل دلة سنة ١٣٢٢هـ فشيده خاناً كبيراً يشتمل على طابقين متيني البناء. وكان من جملة من شغله من التجار الكبار في بيع الاقمشة الرجالية: محمد جعفر الشبيبي والسيد جعفر حمندي.

خان دلة الصغير:
عمر هذا الخان وما فيه من البنيان في ايام دولة بن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه وافاض على جميع العالمين عدله واحسانه ٩٩٩، يقع في سوق البزازين يباع فيه القماش على اختلافه، ويظهر انه ملحق لخان دلة الكبير أو هو جزء منه.

خان ورثة دينوس، (خان الحريري):
يقع في سوق خان بكر من اسواق بغداد، يقع نهاية سوق الصفافير باتصاله بسوق البزازين (الجوخجية)، اشتراه الحاج تقي الحريري من مالطية اليهود (بيت دينوس) اصحاب سينما الزوراء، وقد هدمه وشيده سوقاً، كما كان يعرف ايضا بخان شاشا، لوجود مخزن شاشا الشهير لبيع الاقمشة فيه.

خان الزرور (خان الدوكمة):
في الشورجة انشئ في عهد السلطان سليم الثاني (٩٧٤ - ٩٨٢هـ) كما دلت الكتابة على الاجر المزجج التي على بابه، ويقع في بداية سوق البزازين بين سوق البزازين يميناً وسوق الطمغة شمالاً، كانت تباع فيه الازرار والقياطين الحريرية وما زال شاخصاً حتى اليوم، وهو الآن مختص ببيع المنسوجات والاقمشة الحريرية مقراً لكثير من تجار الاقمشة من العوائل الكبيسية (الكبيسات) في العراق، وقد اعتبر خاناً اثرياً توجد على بابه لوحة تشير إلى تاريخ تأسيسه أواخر القرن العاشر لذا يعتبر اكبر خان معروف وهو (خان جغان) بنحو عقدين من الزمن، ان اللذين رسم هذه الكتابة واعتنيا به هما (هرتسفيلد وزارة) عام ١٩٠٨م في كتابهما (نزهة اثرية في الفرات ودجلة) الذي نشر عام ١٩١١م.

خان الزيبق:
مجاور عمارة الدامرجي حالياً.

خان السبتي:
في شارع السموأل مقابل عمارة خان الباشا.

خان سلطان حمود:
في محلة البوشبل.

خان سليمان باشا:
أنشأه سليمان باشا والي بغداد في السوق الذي عمره بمحاذاة سوق السباهي، وهناك خان آخر لسليمان باشا في السوق الملاصق لسوق القزازين والمحادد لسوق الجبوقة جية (الجوخجية).

خان الحاج سلمان بن صالح بن شبلي:
خان كبير اعد لنزول المسافرين في محلة الميدان.

خان محمد سعيد جلبي الشابندر:
واقع في شارع المستنصر غربي المحكمة الشرعية ويشتمل على طابقين، متين البناء كان قد شيده سنة ١٣٣٧هـ، وهو من الخانات الشهيرة المهمة لتجار بيع الشاي والقهوة.

خان محمود جلبي الشابندر:
في محلة جديد حسن باشا قريب من مبنى متصرفية لواء بغداد سابقاً مقابل القشلة، ولعله هو مقهى الشابندر في شارع المتنبي حالياً.

خان الشيخلي (خان المعملجي):
في سوق خان بكر، يعود إلى الحاج محمد أمين جلبي بن الحاج محمد سعيد جلبي بن الحاج مصطفى الشيخلي، وقد هدم عند شق شارع الرشيد.

خان الصرافين:
في سوق العطارين، تم انشاؤه في عام ١٢٢٩هـ ويضم الصيارفة الذين يتعاملون بالعملات النقدية للدول المجاورة مثل تركيا وايران إلى جانب دول بعيدة اخرى مثل الهند وروسيا.

من بحوث ندوة التراث الشعبي في اسبوع المدى الثقافي